تغريدة الصباح

بيرسيفوني..!

حسن حميد

ها أنذا، أتذكر أربعة من آلهة الإغريق واستدعيها، لكي أفهم ما يحدث حولنا من أمور عجيبة غريبة تخترمها أربعة أمور، وتتحكم بها هي: القوة، والمصالح، والأكاذيب، وفساد الأخلاق.
هذه الآلهة الأربعة هي (زيوس)، و(ديميتر)، و(هاديس)، و(بيرسيفوني)، وهي أيضا أبطال قصة خطف (بيرسيفوني) من العالم الأرضي إلى العالم السفلي بكل الهمجية والقسوة، والخاطف هنا هو إله العالم السفلي (هاديس) الذي فتن بجمال (بيرسيفوني)، فأرادها زوجة له، وقد طلب يدها من أبيها (زيوس) كبير الآلهة، فوافق موافقة مشروطة بموافقة أمها (ديميتر) إلهة الخصب، وهو يعرف أن أمها لن توافق على هذا الزواج لأنها تكره (هاديس) إله العالم السفلي، وتكره عالمه، لذلك يخطف (هاديس) (بيرسيفوني) ويهبط بها إلى عالمه، عالم الأموات، بينما كانت تتنزه مع صويحباتها، وتقطف أجمل الأزهار لتملأ بها سلتها المصنوعة من أعواد شجرة الرمان، لقد انحنت (بيرسيفوني) على زهرة جميلة لتقطفها، فقلعت الزهرة من جذرها، وبدا تحت الجذر نفق معتم، فهوت قدماها بها إلى داخله، وهناك تلقفتها عربة (هاديس) التي تجرها خيول أربعة، وأخذتها إلى حيث يسكن هو في قصر رائع الجمال والهيئة، ساحر بكل ما فيه من شرفات أربع وسيعة هي أشبه بحدائق معلقة.
كانت (بيرسيفوني) تبكي وتنادي أمها وأباها طوال رحلة الخطف التي كانت طويلة وشاقة، تخللها نوم (بيرسيفوني) ويقظتها، وقد رأت خلالها أنهارا أربعة هي: نهر النسيان، ونهر الكراهية، ونهر الحزن والرثاء، ونهر النار، وسمعت (هاديس) يخيرها بأن تختار نهرا منها لتصير صورة حياتها في العالم السفلي هي صورته، فتختار (نهر الحزن والرثاء)، مع أن (هاديس) حاول أن يقنعها بأن النهر الذي تناسبها صورته هو (نهر النسيان)، أي أراد لها أن تنسى العالم الأرضي وما فيه، في المقابل كانت (ديميتر) تبكي كأم مفجوعة بفقد ابنتها، حالما عرفت خبر خطفها، وراحت تسأل الآلهة عن مصيرها، ولم تخبرها الإلهة بشيء، لذلك مضت إلى (زيوس) زوجها، وهو كبير الآلهة، وسألته عن ابنتهما (بيرسيفوني)، فأخبرها أن (هاديس) اختطفها وهي لديه الآن في العالم السفلي، وهي تعيش بسلام، وقد جعلها (هاديس) ملكة على عالمه السفلي، فأعلنت (ديميتر)عن امتناع الأرض عن إنبات القمح، والذرة، والزهور، والأعشاب، وهدد زيوس باقتحام العالم السفلي، والاحتكام إلى إجابة ابنته (بيرسيفوني) عن سؤاله إن كانت سعيدة بهذا الاختطاف ام لا؟
وقد عرف (هاديس) بما يجول في خاطر (زيوس) و(ديميتر) فما كان منه إلا أن زين ل (بيرسيفوني)، وعبر ما يمتلك من قدرة على الخديعة، أن تأكل بعض حبات الرمان، وهو يعدها بالحياة الرغيدة، ورؤية أمها وصديقاتها، والخروج إلى العالم الأرضي، فأكلت، وهي ساهية، ست حبات من الرمان، كل حبة منها كانت ترمز إلى شهر منشهور السنة، ,حين وصل تهديد (زيوس) و(ديميتر) إليه قال لهما: اسألا (بيرسيفوني) إن كانت تريد العيش معي هنا في العالم السفلي، وعندما سألاها، قالت: أريد ان أقسم حياتي بينكم مناصفة، ستة شهور أقضيها مع (هاديس) هنا في العالم السفلي، وستة شهور أقضيها معكما،يا أبي وأمي، في العالم الأرضي، عندئذ عرف(زيوس)السر، فسأل(بيرسيفوني) كم حبة رمان أكلت يا عزيزتي؟ فقالت: ست حبات! فهز رأسه، وبكت (ديميتر)، فقال: لك أن تعيشي ستة شهور، هي زمن البرود والشتاء مع (هاديس)، وستة شهور مع أمك (ديميتر) هي زمن الربيع والصيف، لأن حبات الرمان كانت ترمز إلى عدم افتكاك الزواج وأبديته في عرف الآلهة.
بلى، في ذلك الزمن، زمن الأساطير، تركت جذور المشكلة، وهي الاختطاف، واقتلاع (بيرسيفوني) من عالمها، عالم أمها وصديقاتها، وبيتها، وحقول وردها، والتلال المطلة على الأودية والينابيع، وشبابها، وعالم الحياة والجمال، وقودها مخطوفة، بالقوة والإجبار إلى عالم هو مملكة الموتى، وفيه أربعة أنهار تمثل: النسيان، والكراهية، والحزن والرثاء، والنار، وبدأت المفاوضات بين الأب والأم، وهما إلهان، والخاطف (هاديس) وهو إله أيضا على تفاصيل لا تعالج جذور المشكلة، من أجل اقتسام المكان والزمان والعاطفة والمصلحة.
اليوم، نعيش هذا العالم الأسطوري، ولكن على نحو واقعي، واقعي في كليته، فالقوة، والمصالح، والأكاذيب، وفساد الأخلاق، هي المسيطرة، وهي البادية، فلا حلول للمشكلة الجذرية، ولا اخلاق تقود إليها، ولا سلوكيات خالية من الكذب والتلفيق من أجل الوصول إلى تخوم العدالة أو مقاربتها، ولا عودة إلى تاريخيجهر بالحقيقة، ويشير إلى جذور المشكلة، وإنما تغطية المشكلة، وجذرها الجوهري بأطياف القوة والمصالح والأكاذيب وفساد الأخلاق، ولكل هذا، وبسببه، تجهر الدنيا، جهر الشمس بالضوء، أن العدالة في غياب شنيع لأنها شربت من (نهر النسيان)، وأن سلوك أهل القوة ارتوى من (نهر الكراهية) إلى حد(البقبقة)، وبقي للآخر المظلوم نهران هما: نهر الحزن والمراثي، ونهر الاكتواء بالنار الولود(الآبدة) التي لا تبقي خلفها سوى قرى من ألم ووجع ورماد، وعليه أن يختار، ويفاضل بينهما. إنها المعضلة!

Hasanhamid5656@gmail.com

المعلن والمستور في خطاب نتنياهو: من المسيح إلى جنكيز خان

د. رمزي عودة

«الشر يمكن أن يغلب الخير»، بهذه الجملة استشهد رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو بكلمات المؤرخ العالمي ويل ديورانت، قائلاً إن «المسيح ليست له أفضلية على جنكيز خان». وقد أثارت هذه التصريحات المسيئة موجة من الاستهجان والغضب حول العالم، إذ تبنّى فيها فلسفة البقاء للأقوى على حساب القيم الأخلاقية والعدالة.
وتابع نتنياهو في كلمته بأنّه في هذا العالم المعاصر «لا يكفي أن تكون أخلاقياً، ولا يكفي أن تكون عادلاً، ولا يكفي أن تكون على حق»، مشيراً إلى أن الديمقراطيات ستكون في خطر مفاجئ، وأحياناً غير متوقع، إذا لم تتحرك وتدافع عن نفسها، على حد قوله.
في الواقع، لا يمكن فهم تصريحات نتنياهو إلا في سياق تصعيد وتغوّل جيش الاحتلال الإسرائيلي منذ السابع من أكتوبر وحتى الآن. فقد بدأ الأمر في غزة، ثم انتقل هذا التغوّل إلى الضفة الغربية ثم إلى لبنان وسوريا والعراق واليمن، وأخيراً الحرب مع إيران. ومن هنا، فإن جميع هذه التحركات العسكرية الكبيرة تشير إلى أن إسرائيل، وعلى مدار أكثر من عامين، انتقلت من مرحلة الدبلوماسية إلى مرحلة استخدام القوة الشاملة في إدارة علاقاتها الدولية.
وهذا ما دفع نتنياهو نفسه إلى تمجيد دور إسرائيل الحالي، واصفاً إياها بـ»القوة العظمى».
في السياق السابق، هناك عدة دلالات مستترة في حديث نتنياهو تتضمن النقاط التالية:
أولًا: إن حديث نتنياهو موجّه إلى العالم بشكل عام، وإلى العالم الغربي المسيحي بشكل خاص، ويوحي بأن على هذا العالم أن يتنحّى بعيداً عن القيم الأخلاقية في إدارة العلاقات الدولية، حتى لا يدفع ثمنا باهظا أمام قوى أخرى لم يحددها، ولكن يُفهم من السياق أنها القوى الموجودة في منطقه الشرق الأوسط والتي وصفها بالشريرة.
ثانيًا: لا مكان للقانون الدولي في العلاقات الدولية، وإنما يجب التركيز على القوة الحاسمة والشاملة من أجل ضمان الردع والحماية.
ثالثًا: لم يبتعد نتنياهو في رؤيته عن تحليل الرأسمالية الغربية كما هي في فكر فرانسيس فوكوياما، حيث يرى أن العالم الرأسمالي المتحضر سينتصر في النهاية، لكنه يحتاج قبل كل شيء إلى أن يكون قوياً ويستخدم قوته في الحفاظ على مصالحه.
رابعًا: إن العالم، بحسب وجهة نظر نتنياهو، منقسم إلى قوى خير (وهي بالأساس تتمثل بالعالم الغربي)، وقوى شر (تشمل دول الشرق الأوسط بالأساس)، وأن إدارة السياسة الخارجية تجاه هذه الدول يجب أن ترتكز على القوة أولاً.
في النتيجة، فإن تصريحات نتنياهو الأخيرة تعبر عن مرحلة جديدة في السياسة الخارجية لإسرائيل، وهي مرحلة استخدام القوة في العلاقات الدولية وتغييب القانون الدولي، وفرض السيطرة المادية والمعنوية على دول الجوار. وهذا لا يعني أن إسرائيل كانت تأبه قبل السابع من أكتوبر بشأن القانون الدولي الحالي ولكنها يبدو أنها بدأت تفكر بجدية في استبدال قواعد القانون الدولي الحالي بقواعد جديدة تراعي مبادئ القوة وليس العدالة.
ولذلك، فإن هذه المرحلة تُعد خطيرة جداً على أمن المنطقة ككل، إذ تؤكد أن إسرائيل ليست خطراً على الفلسطينيين فقط، بل إن عدوانها وهيمنتها قد يمتدان إلى كافة دول الجوار. ويزداد هذا الخطر إذا ما اقترن هذا التوسع بانتشار وتوغل أفكار الصهيونية المسيحية التي تتحدث عن «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات.
وبناءً عليه، يمكن القول إن «إسرائيل الجديدة» قد تكون دولة توسعية في المنطقة من خلال إنشاء قواعد عسكرية جديدة، وهذا ما ألمح إليه نتنياهو عندما وصف إسرائيل بأنها دولة عظمى وليست دولة إقليمية.
من جانب آخر، استخدم نتنياهو في معرض حديثه عبارة «الديمقراطيات التي تقاد من قبل الولايات المتحدة»، وكأنه يشير إلى أن الدور الجديد لإسرائيل سيتعزز باعتبارها حليفاً استراتيجيًا للولايات المتحدة، ليس فقط في منطقة الشرق الأوسط، وإنما على مستوى العالم. ويبدو أن هناك رغبة إسرائيلية في تعزيز هذا الدور، وربما ملء فراغات في العلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة، في ظل ما يشهده النظام الدولي من تحولات في موازين القوى والتحالفات.

حين يتغير الخطاب في الجزيرة: كيف تعيد القناة صياغة الحرب وفق الجغرافيا السياسية؟

مريم شومان

في زمن تتدفق فيه الأخبار بلا انقطاع، لم تعد المعركة على الأرض وحدها هي ما يحدد النتائج، بل أصبحت السردية الإعلامية شريكًا أصيلًا في رسم ملامح الوعي العام، ومن جديد؛ تبرز قناة الجزيرة كنموذج يستحق التوقف عنده، ليس بوصفها مجرد ناقل للأحداث، بل كفاعل مؤثر في تشكيل فهم الجمهور للصراعات خاصة في القضية الفلسطينية.
على مدار أكثر من عقدين، نجحت الجزيرة في بناء حضور إعلامي قوي، مستفيدة من خطاب قريب من الشارع العربي، ومشحون بالعاطفة، ومشبّع بمفردات الكرامة والمقاومة، لكن هذا الخطاب عند إخضاعه للمقارنة بين محطات مختلفة يكشف عن تحولات لافتة، خصوصًا عند المقارنة بين تغطية الحرب في غزة، وبين تغطيات أخرى تمسّ نطاقًا جغرافيًا مختلفًا أو مصالح إقليمية حساسة.
في تغطية غزة، تتكثف اللغة، وتتسارع الإيقاعات البصرية، وتُستدعى نخبة من المحللين الذين يذهب كثير منهم نحو رفع منسوب التوقعات، وتوسيع صورة الفعل المقاوم ليبدو في أحيان كثيرة أقرب إلى نموذج جيش نظامي مكتمل الأدوات، هذا التقديم لا يقتصر على نقل الوقائع بل يتجاوزها إلى بناء رمزية تتضخم بمرور الوقت، حيث تتحول «المقاومة» من مفهوم متعدد الأوجه إلى صورة شبه حصرية مرتبطة بفصيل بعينه – أقصد هنا حماس- ما يختزل مشهدًا فلسطينيا معقدا في إطار ضيق.
هذا الاختزال، وإن كان يبدو في ظاهره دعمًا إلا أنه يحمل تبعات عميقة على مستوى الوعي الجمعي، إذ يساهم في إعادة تشكيل إدراك الجمهور لطبيعة الصراع ويعزز حالة من الاستقطاب، ويغيّب أطرافًا أخرى داخل النسيج الفلسطيني ما ينعكس بدوره على وحدة القضية ومساراتها السياسية.
في المقابل، وعند متابعة تغطيات أخرى تمسّ مناطق مختلفة أو تهديدات مباشرة لدول أخرى تتبدل النبرة بشكل ملحوظ، إذ تميل اللغة إلى التهدئة، ويغلب على الخطاب طابع التحذير والدعوة إلى الاستقرار، مع تركيز واضح على سلامة المدنيين ورفض التصعيد. هنا، تصبح الأولوية لاحتواء الأزمة، لا لتوسيعها، ولتقليل الخسائر لا لتضخيم الرمزية.
هذا التباين لا يمكن قراءته فقط بوصفه اختلافا في طبيعة الأحداث، بل يعكس أيضا كيفية توظيف الأدوات الإعلامية وفق سياقات محددة، فاختيار المحللين والضيوف، وطبيعة الأسئلة، وترتيب الأخبار، حتى التفاصيل البصرية، كلها عناصر تساهم في إنتاج سردية قد تبدو في ظاهرها موضوعية، لكنها تحمل في عمقها رسائل موجهة بعناية.
الإشكالية لا تكمن في دعم القضية الفلسطينية، فذلك موقف إنساني وأخلاقي مشروع وواجب وطني، بل في الكيفية التي يقدم بها هذا الدعم، حين يتحول الخطاب الإعلامي إلى أداة تعبئة مستمرة دون مساحة كافية للنقد أو المراجعة، فإنه قد يدفع بالجمهور نحو تبنّي تصورات غير واقعية عن موازين القوى، أو عن كلفة الصراع، أو عن الخيارات الممكنة.
ومع تعقّد المشهد بعد أحداث السابع من أكتوبر، وما تلاها من دمار واسع في قطاع غزة وخسائر بشرية هائلة، يصبح من الضروري إعادة النظر في دور الإعلام في هذه اللحظات المفصلية، ليس من باب الاتهام، بل من زاوية المساءلة المهنية: هل ساهم الخطاب في تقريب الفهم، أم في تعميق الانقسام؟ هل نقل الواقع كما هو، أم أعاد تشكيله بما يخدم سردية بعينها؟
إنّ قراءة أداء الجزيرة في هذا السياق لا ينبغي أن تُفهم كاستهداف لدولة أو موقف سياسي، بل كدعوة لفحص تأثير الإعلام حين يمتلك هذا القدر من النفوذ، فالقضية الفلسطينية بما تحمله من تعقيد وعدالة تاريخية، تحتاج إلى خطاب يعكس تعدديتها ويوازن بين التعاطف والعقلانية، ويضع مصلحة الإنسان الفلسطيني في قلب الصورة، بعيدًا عن أي اختزال أو توظيف.
إذ إن الكلمة تبقى أداة قوة، لكن قوتها الحقيقية لا تكمن في قدرتها على الحشد فقط، بل في قدرتها على الإضاءة دون أن تحجب ما عداها.

الأم.. وطنٌ لا يُغادر، ونبضٌ لا يخفت

د. تهاني رفعت بشارات

في الحادي والعشرين من آذار، تتوشّح الكلماتُ بأجمل ما فيها، وتخجل اللغةُ من عجزها أمام مقام لا يُدرك، فتقف الحروف على أعتاب القلبِ خاشعةً، لأن الحديث عن الأم ليس نصّاً يُكتب، بل شعورٌ يُعاش، وامتنانٌ لا تحدّه العبارات. فالأم ليست يوماً في الروزنامة، بل هي الزمن كلّه، وهي الفضل الذي لا يُحصى، والخير الذي لا ينضب، وهي الحياة حين تضيق، والنور حين يعتم الطريق.
الأم... تلك التي تبدأ الحكاية منها، ولا تنتهي إلا عند دعائها. هي المدرسة الأولى التي لا تُغلق أبوابها، ولا تنفد دروسها، ولا تتأخر عن طلابها مهما أثقلها التعب. منها نتعلّم الحرف الأول، ومنها نرتقي إلى معنى الإنسان. هي الحضن الذي لا يُبدّل، والظل الذي لا يزول، واليد التي تمسح عنا تعب الأيام دون أن تسأل.
لقد عظّم اللّه شأن الأم، ورفع قدرها فوق كل اعتبار، فجعل برّها طريقاً إلى رضاه، وربط رضاه برضاها، حتى قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «الجنة تحت أقدام الأمهات»، وكأن السماء كلّها تنحني إجلالاً لهذا القلب الذي احتمل الألم حبّاً، والتعب رحمةً، والتضحية إيماناً.
وعلى امتداد التاريخ، ظلّت الأم هي العمود الفقري للأسرة، والمحرّك الصامت للمجتمع. هي التي تبني دون أن تنتظر شكراً، وتغرس دون أن تطلب ثمراً. لا تقتصر رسالتها على الإنجاب، بل تتجاوز ذلك إلى صناعة الإنسان، وصياغة القيم، وتشكيل الضمير. هي المعلّمة، والمربّية، والطبيبة، والصديقة، وهي التي تسهر حين نمرض، وتبتسم حين ننجح، وتخفي دموعها كي لا نضعف.
ولئن كان العالم يحتفل بعيد الأم بوصفه مناسبة حديثة بدأت في أوائل القرن العشرين، فإن جوهر هذا الاحتفال أقدم من التاريخ ذاته، لأنه مرتبط بالفطرة الإنسانية. وقد أطلقت آنا جارفيس أول احتفال رسمي في الولايات المتحدة عام 1908، تخليداً لذكرى والدتها، ثم انتقلت الفكرة إلى العالم العربي بجهود مصطفى وعلي أمين، ليصبح الحادي والعشرون من مارس موعداً سنوياً لردّ شيءٍ من جميلٍ لا يُرد.
لكن، هل يكفي يومٌ واحد؟
وهل تختزل الأم في هديةٍ أو وردة؟
الحقيقة أن عيد الأم ليس مناسبةً للاحتفال بقدر ما هو لحظة مراجعة، نعيد فيها ترتيب علاقتنا بمن منحتنا الحياة. هو دعوة لأن نقول ما أخّرناه من كلمات، وأن نردّ ولو جزءاً يسيراً من بحر عطائها، بالكلمة الطيبة، وبالاهتمام، وبالبرّ الذي هو أعظم الهدايا.
أما الأم الفلسطينية، فهي قصةٌ أخرى تُكتب بحبر الصبر ودمع الصمود. ليست أمّاً فقط، بل وطنٌ يمشي على قدمين. هي التي تودّع أبناءها شهداء، وتستقبل الألم بصبر الأنبياء، وتنهض من بين الركام لتصنع أملاً جديداً. في وجهها تختصر الحكاية، وفي قلبها يسكن الوطن، وفي صبرها تتجلّى معاني الكرامة. إنها لا تحتفل... بل تُعلّم العالم كيف يكون الصمود احتفالاً بالحياة.
وفي فضاء الوطن العربي، تظلّ الأم نبضاً واحداً رغم اختلاف الجغرافيا، تجمعها رسالة العطاء، وتوحّدها قيم التضحية. من المحيط إلى الخليج، تبقى الأم هي الأصل الذي تتفرّع منه الحكايات، وهي الجذر الذي يمنحنا الثبات في وجه العواصف.
إن أعظم هديةٍ تُقدَّم للأم ليست في صندوقٍ يُفتح، بل في قلبٍ يُبرّ، وسلوكٍ يُحسن، واهتمامٍ لا ينقطع. أن نكون لها كما كانت لنا، وأن نمنَحها الأمان الذي منحتنا إياه، وأن نردّ لها الجميل حضوراً لا غياباً، حباً لا مناسبة.
وفي الختام، تبقى الأم أكبر من كل وصف، وأعمق من كل معنى. هي الجنة التي نمشي إليها كل يوم، وهي الدعاء الذي يسبق خطانا، وهي البركة التي إن حضرت، حضر معها كل خير. فلنحفظ هذا الكنز الإلهي، ولنجعل من كل يوم عيداً لها، لا بالكلمات وحدها، بل بالأفعال التي تليق بعظمة قلبها.
كل عام وأمهاتنا نور الحياة، وسرّ البقاء، وأجمل ما في الوجود.